

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[238] أو في قدرته وعلمه أو في أفعاله، وعلى أية حال فإنّ الآية الشريفة تنطلق من موقع الذم الشديد للجدال بالباطل. قد ورد وهذا المعنى نفسه مع بعض الإضافات كذلك في (الآية الثامنة) من سورة الحج حيث تقول الآية: (وَمَنْ الذَّاسِرَ مَنْ يُجَادِلْ فِي الْبَغْيِ عِلْمَ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابَ مُذِيرٍ) وهذه إشارة إلى أنّ البحث والنقاش إذا كان مقترباً مع العلم والمعرفة، أو مع هداية أولياء الدين والإنبياء الإلهيين، أو يكون مستنداً إلى كتاب من الكتب السماوية فليس لا ضرر فيه فحسب بل يمكنه أن يكون مفتاحاً لحل الكثير من المشاكل والأزمات الفكرية والعقائدية. ولكن عندما لا تكون هذه العناصر الثلاثة الإيجابية على طاولة البحث والنقاش (أي العلم الشخصي، وهداية الأولياء، والإستناد إلى الكتب السماوية) فإنّ الجدال سوف ينزلق في طريق الأهواء والتعصبات ويتحرك الإنسان معه في خط الباطل والانحراف وبالتالي لا تكون نتيجته سوى الضلال والشقاء. ويستفاد من الآية التاسعة من هذه السورة التي وردت بعد هذه الآية محل البحث أنّ أحد دوافع الجدال بالباطل هو التكبر والغرور والعجب والذي يتسبب في إضلال الآخرين أيضاً، فمثل هؤلاء الأشخاص يكون مصيرهم إلى الفضيحة في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة كما تقول الآية: (ثَانِيًا عِطْفِهِمْ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذْرٌ يُفْهِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ). "الآية الخامسة": من الآيات محل البحث وضمن وصفها وتعريفها لمفهوم المجادلة بالباطل تشير إلى أحد الدوافع والجذور الأصلية لهذه الرذيلة الأخلاقية في واقع الإنسان وتقول: (إِنَّ السَّادِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بَغْيًا سُلْطَانًا أَتَاهُمْ) هؤلاء لا يوجد في قلوبهم سوى التكبر والغرور حيث يريدون تحقيق نظراتهم من وحي الأهواء والتعصب ولكنهم لا يصلون إلى مرادهم ومقصودهم: (إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ). كلمة (سلطان) تستعمل في مثل هذه الموارد بمعنى الدليل والحجة والبرهان والتي